الجبهة تكبر ... تكبر بالشعب ...

بقلم: محمد درويش

- ١ -

تتجمع الفراشات في حديقة « الجبهة » فانتفاضة الربيع دخلت مياه النهر وارتفعت بنادق الوطن لتعلن موسيقى البداية لحقول القرى ودماء الفلاحين . انها عتبة الدخول الى النور الذي التحم بالجسد ليكتب النصر ...

انها الجبهة . تشتعل في الارض كل الافكار ثم ترتد نحو الثورة فوحدها البطل ـ النموذج ـ الحصار ـ الحرية ... تعلق السماء على عدد الازهار ثم تغلي الامواج فوق مراكبها وزورق الرحلة اضاف لعمره سنة جديدة من انتفاضة الاسماك الطيبة القلب والتوجه في بحر النضال . ويضحك الشهداء لكنهم يحسنون وقفتهم الاخيرة في قلب الضوء . يرفضون الظل ويوقعون اسمهم بالاحمر ... ترى ما الذي تجدد في الحكاية فورق الشجر ما زال يستعمل للحفاظ على جسد الثائر حين يدخل بزيارة للتراب ؟ ما الذي تغير وما زالت اجرة العامل كما هي ؟؟ لم ترتفع على الرغم من دخول الجوع الى القلب المنفتح حتى اكتمال النشيد .

افكار على بحيرة الاسماك . والجبهة تجمع اخشاب المسافة حتى تبقى نار الثورة متوهجة في ظلام المؤامرة . قد تحترق اجساد الرفاق لكن احلامهم ستزداد اخضرارا كلما سطع نور الشمس . وستزداد وجوههم جمالا كلما سال دمهم على الطريق .

- ٢ -

« الجبهة » ... دعني افكر كيف يكون الحب . والحدائق مزدانة بالشهداء ... جيفارا غزة طير المخيم الذي بكى ثم استقام في القلب ... انه يحصي عدد قطرات دمه في عيدها . يحصي عدد الرفاق ... الاشجار البدايات . الانتصار . وفلسطين كاملة الاغصان والازهار والاسماك . ... يحصي النهر . المياه . الاشياء . النخيل . الصحراء . الصوت . الميلاد . يحصي قبره وحجم الموتى من الماء الى الماء ... يحصي ... غزة في ضمير العامل . والعامل في ضمير الآلة . والجنوب يموت كل صباح في ليل السهرة وقرع كؤوس الردة ... وما عاد في الكأس ما يفرح الفلاح ... اليوم غاب . اليوم مات . اشهد ان اليوم الموت ... الموت . وصل الدمع : آفتحوا له شرفات القلب ... واسقوا ماء ازهاره مقاطع اليد « المقطوعة » من عنقي ومن زهدي فأنا الطائر الاول وانا العصفور الجريح

لكن جرحي يلتئم حين تعلنون العيد (...) وصل الموت وانهالت اصوات الدفاتر وانهال النبع وسقط العنق المرتفع . لكنه ارتفع من جديد مع الطفل الذي صرخ للمرة الاولى في الكوخ الوطني . بين طيات الفقر كتب الغزال ضجره وقرفه لكنه ادرك ان الاشجار ستزهر ... جيفارا في الضوء وليس في الظل ـ انه الان يحتسي جرحه وينتظر اخر التقارير . ينتظر جيفارا المخيم والخارج وزوارق البحر . يرفض ان يقال بان الشراع انكسر . يرفض حتى المطلق . ويكتب على جمجمته فراشة الجبهة ثم يدخن سيجارة ويهتف : اضفت فراشة لحديقة الانتفاضة ...

- ٣ -

... الجبهة ـ العيد ـ الفرح ـ الانتظار ـ الملصقات ـ مطر الرصاص ـ غسان كنفاني : القلم ... انه يرسم السفينة . الوطن . القلق . التعب . يرسم ويستشهد لترسم ذراعه الطريق ، القصة ، الموقف . في الانتفاضة ، ينتفض جسده ، يتحرك قلبه يشتاق لسيجارة يطلق دخانها في الريح . يضع حزنه على طاولة الكتابة ويفرك ذكرياته ثم يدخل في الموت ويدخل الوطن الى الحياة الجديدة . غسان ... من ينادي الان ... الان وليس غدا . انهم الرفاق . اين اصبحتم ... اين صارت طرقات المخيم والثورة واغاني الفقراء والغيوم الجميلة والشتاء يتساقط فوق « الواح الزينكو » . اين اصبح اطفال العيد . مدرسة الثورة . شجرة النضال . الدروب الملونة بالملصقات . تل الزعتر هل تعرف غسان ؟ ... هو يعرفني (...) اعرف . يعرف . يعرفون . يتذكر الفؤاد ازدحام الطريق ولمعان البنادق تحت كآبة المساحة . ويزرع كنفاني اصابعه في التبغ والموج ويرسم ... يرسم حتى اليقظة ...

... « آتي كنفاني » ادركت ان الاطفال في انتظار الفرح ... تكررت الكلمة لكن الفرح لن يتكرر . انه يتجدد . الجبهة تزداد اخضرارا ويصلب عودها ـ يكبر رجالها في النار . يرتفعون في تراب المخيمات والمدن الشابة . وكنفاني يكبر مثلما السنبلة والامواج تلاطم الصخور لكنها تحسن الرجوع . « الجزر » يتراجع ... و « المد » يتقدم وكنفاني يكتب للشهداء مقدمة المسيرة . يكتب لكنه يعلم ان البحر لن يتأخر ... وان الشجر سيثمر ...

- ٤ -

« الجبهة » تكسر جدار اليأس ، تجدد لابطالها العهد . وتعيد تنظيم النشيد ... فتجمع الاطفال وتوزع عليهم حبها وصور الشهداء . يظهر « ابو امل » من الملصق يغني لهم اغنية العودة ، فيبكون جميعهم ... فيمسح دمعهم ... ثم يدخل في الملصق ...

« ابو امل » اقسم ان الارض ستعود وستنهض من الملصق لتغني للفقراء ... « الجبهة » تتقدم نحو مجدها . عيدها يضيف شجرة جديدة ... الشهيد علي رمضان من الرشيدية كان « يقلم » اغصان الشجر ويحسن مناجاة العصافير ... قرأ الثورة وكتابها الذي يطفح بالدم . اعجبته الصورة فاستشهد تحت ظلال الاشجار ودافع عن « الجبهة » وكتب للجنوب والمخيم ببندقيته الذكرى والوفاء قصة الانتصار ... الحلقة تتسع والارض تستوعب مجد الرجال والجبهة تكبر ... تكبر لكنها تكبر بالشعب ... تتجدد لكنها كالطيور الفتية تحسن الطيران في سماء الثورة ... تحيد لها في عيدها ...

زجل فلسطيني

احدى عشر عام جبهتنا عمرها ... ومن الابطال قائدها عمرها
وراح نسير عادربها وعمرها ... وطنا نحررو نحنا الشباب

فلسطين زغردي جاؤوا شبابك ... وبصدور العدا نفتح شبابيك
ما بيخيفنا حاكم وشبه بـك ... وراء اهدافنا طاب الموت طاب

الرفيق ابو شاكر ـ شاتيلا

صدر حديثاً

المجلد الثالث من مؤلفات الرفيق غسان كنفاني

"المسرحيات"

منشورات مؤسسة غسان كنفاني الثقافية بالاشتراك مع دار الطليعة للطباعة والنشر

ثمن النسخة ١٧ ليرة لبنانية

غسان كنفاني

الآثار الكاملة

المجلد الثالث

الديوان الثاني للرفيق هادي دانيال

"أناشيد النورس"

منشورات "الهدف"

ثمن النسخة ٣ ليرات لبنانية